

الرؤية الشرعية في الأحداث الراهنة (أحداث لبنان)

الشيخ محمد صالح المنجد

نبذة:

ظهرت أحزاب تدّعي أنها أحزاب إسلامية، وأنها تناصر الله، وهم مشركون بالله خارجون عن شرع الله، قد عبدوا من دون الله عز وجل من الأولياء وغيرهم ممن تظاهروا بحبهم خداعاً لهذه الأمة، وظناً منهم بأن ما هم عليه الحق، وإن هم إلا على الباطل ولكن لا يشعرون.

عناصر الخطبة:

1. الواقع المرير.
2. حال المسلم في الفتن.
3. من يستعين بالله يعنه.
4. الأحداث تكشف المستور.
5. أخلاق المسلم عند الفتن.
6. دروس وعبر من الأحداث.

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

الواقع المرير:

عباد الله، واقع الأمة مرير، وتعيش في فترة حرجة من تاريخها، وقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا بقوله: (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها) [رواه أبو داود (4297)]، وهكذا تداعوا علينا على اختلافهم وتباينهم، واختلاف أديانهم، واستباحوا حي هذه الأمة بعد أن نام حماها.

ومن رعى غنماً في أرض مسبعة *** ونام عنها تولى رعيها الأسد

وهكذا تعيش الأمة في كرب، وفي قروح، وهو زمن استثنائي في ماضيها الشامخ العزيز، وغدها المشرق بالنصر المبين، إن الواهن الحزين عليه أن يعلم أن ما عاشته الأمة في سابق عهدها، وما ستعيشه في مستقبلها من العز والنصر هو أعظم قدراً، وأطول زماناً مما يصيبها اليوم من الجهد والبلاء، **{وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ}** (سورة النساء: 104).

شاءها الله عز وجل امتحانات وابتلاءات لهذه الأمة بكفار صرحاء، وبمنافقين من داخلها، وبمشركين خرجوا عنها وارتدوا، ولحقت قبائل من هذه الأمة بالمشركين - كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم - فعدوا القبور والأضرحة، وهكذا تذرثوا وتغطوا بدثارات وشعارات يحسبها السامع إسلامية، وهي في الحقيقة خارجة عن ملة الإسلام، وظهرت أحزاب تدعي أنها أحزاب إسلامية، وأنها تناصر الله، وهم مشركون بالله خارجون عن شرع الله، قد عبدوا من دون الله عز وجل من الأولياء وغيرهم من تظاهروا بحبهم خداعاً لهذه الأمة، وظناً منهم بأن ما هم عليه الحق، وإن هم إلا على الباطل ولكن لا يشعرون.

فاذاً اخترقت هذه الأمة بأعداء صرحاء من اليهود والصليبيين، واخترقت هذه الأمة بمنافقين خرجوا عن كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، واختاروا التظاهر بالإسلام للطعن فيه من الداخل، يتسمون بأسماء المسلمين، أخبر عنهم عليه الصلاة والسلام: أناس **(من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا)** [رواه البخاري (3606)، ومسلم (1847)]، وكذلك اخترقت الأمة بطرق شركية، وأحزاب جاهلية جعلت منها مرتعاً للبدعة والشرك، والقبور والأضرحة والمزارات تعبد من دون الله عز وجل.

وإن من نكد الدنيا أن تحدث هذه المعارك بين الأعداء الصرحاء، وبين المشركين الذين يغلفون أنفسهم بهذه الغلافات التي يظنها بعض الناس إسلامية، إنما يحدث ذلك في هذه الحروب والصراعات على حساب المسلمين، على حساب الموحدين، على حساب الأراضي التي فتحها الصحابة وأبناءؤهم وأحفادهم رحمهم الله ورضي عنهم وأرضاهم، فلا تكاد تجد لأهل الإسلام والتوحيد راية واضحة، أو أنهم يديرون معركة لهم بوضوح، فاختلطت الأمور وصار الناس في أمر مريب، ولكن هذه الأمة مرحومة، والمصائب التي تتوالى عليها إنما هو رحمة من الله بها، والله تعالى يصطفي شهداء، ويصطفي علماء، ويصطفي بررة أتقياء يعبدونه في وقت الشدة، ويعرفونه في وقت الاختلاط، ويعبدونه في وقت المرج والمهرج، وهذا هو الذي ينبغي أن يكون عليه حال المسلم عند اختلاط الأمور، وعندما تضطرب الفتن، وتضطرب الحروب يتعلق المسلم بالله، يحقق توحيد الله، ويجدد الإيمان في نفسه: **{إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ}** (سورة الحج: 38).

حال المسلم في الفتن:

والمسلم الذي ينظر بعين الشرع إلى الأحداث فإنه يعلم بأن كل ما يحدث بقضاء الله تعالى، فهذا يجدد الإيمان في قلبه بركن مهم من أركان الإيمان، وهو الإيمان بالقضاء والقدر، قال تعالى: **{مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}** (سورة الحديد: 22).

والمسلم يرى حمماً تصب على رؤوس إخوانه فهو يعلم أن ما أصابهم وما أصاب غيرهم -ممن ليس على هذه الملة الحنيفية والتوحيد- هو أيضاً بأمر الله: {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} (سورة التوبة: 51)، وبصيننا وبصيب غيرنا عموماً بقدر أيضاً: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلٍ أَن نَّبْرَأَهَا} (سورة الحديد: 22).

إن هذه الأحداث، وهذا التسارع لهذه النكبات يذكر المسلمين باليوم الآخر، أن هنالك محكمة عدل إلهية تنصب فيها الموازين، وتوزن فيها الأعمال، وكذلك الصحائف، وأيضاً العمال، توزن الأعمال والعمال عند الله عز وجل، فيوجب هذا للمسلم رجعة إلى الله، وتوبة إليه، وقد يكون بعض المسلمين قد ذهبوا لمعاص فاعادتهم هذه الأحداث، وربما ردقهم إلى صوابهم، وبينت لهم حقائق الأمور عندما عادت ليالي الحمراء سوداء.

عباد الله، ربما فكر البعض بالذهاب إلى تلك الأماكن للمعصية؛ ملاهي ومقاهي، ضياع أوقات، وضياع أعراض، هتك وفساد، وهؤلاء الذين يريدون أن تشيع الفاحشة في الأرض قد نصبوا من مواسم الصيف أوكاراً عظيمة للفساد، وروجوا تجارات ضخمة للبعاء، وأداروا أنشطة عظيمة للفساد والإفساد، وكان بعض الناس يحذر ويقول: إن الله على الانتقام قادر، وإن الله على عقوبة هؤلاء الذين ملئوا الفضاء بضجيج الفساد في قنواقم، والدعايات لهذه المحرمات الصيفية قادر على إنزال البطش بهم، فيقول بعضهم: تلك أيام ولّت من حروب أهلية، وإنما هذا الانتعاش، فإذا بحرب الله لهم يسير بها من يشاء، فتفسد تلك الخطط، وتعود تلك الملاهي بلقعاً، وإذا بالذين قد هينوا للفساد قد فسدت خطتهم هم، وردّوا على أعقابهم صاغرين، هنالك يعلم المسلم أن الله عز وجل يتصرف في الكون كيف يشاء، كل يوم هو في شأن، ويفاجئ عباده بأمور، ويقدر أحداث ووقائع لم تكن على البال والخطر، من الذي يعلم الغيب؟ الله عز وجل، من الذي يقدر الأمور؟ الله عز وجل، من الذي يسلط من يشاء على من يشاء؟ الله عز وجل، من الذي يضرب الظالمين بالظالمين؟ الله عز وجل، من الذي يسلط اليهود على المشركين؟ الله عز وجل، وهكذا سبحانه وتعالى يرفع ويخفض، يعز ويذل، يحيي ويميت، يمرض ويشفي، إليه الأمر كله، وهو وحده المتصرف في هذا الكون، يفعل ما يشاء.

وأيضاً فإنه يبتلي المسلمين، ويبتلي الموحدين، وهو عز وجل يكفر بذلك من سيئاتهم، ويرفع بهذا من درجاتهم كي يقبلوا عليه، ويؤوبوا إليه، ويكثر من العبادة والعمل الصالح بين يديه، ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم: (العبادة في الهرج كهجرة إلي) [رواه مسلم (2948)] الهرج: الفتنة، وكثرة القتل، هذا الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه يبين أن المسلمين لو صار بينهم وفيهم وفي أحيائهم من القتل والتدمير فإنهم لا ينشغلون عن عبادة الله، بل يشتتون حتى مع طيران المهج، وخفة العقول وطيشها، لكنهم بالأحداث مؤمنون بالله، يشتتون على أمر الله، ينشغلون بذكر الله عز وجل، تعود نفوسهم إلى ربهم.

قال طلق بن حبيب رحمه الله: "إذا وقعت الفتنة فأطفئوها بالتقوى، قالوا: وما التقوى؟ قال: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله".

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: "ولهذا يقرن الله بين الصلاة والزكاة، وهي الإحسان إلى الخلق، وبين الصبر تارة، ولا بد من الثلاثة: الصلاة والزكاة والصبر، لا تقوم مصلحة المؤمنين إلا بذلك في صلاح نفوسهم، وإصلاح غيرهم، لا سيما كلما قويت الفتنة والحنّة، فالحاجة إلى ذلك تكون أشد، فالحاجة إلى السّماحة والصبر عامة لجميع بني آدم لا تقوم مصلحة دينهم ولا دنياهم إلا به، وأيضاً دروس للعباد في الصبر؛ فإنه لا إيمان إلا بالصبر، ولا يمل العبد من التواصي مع إخوانه بالصبر: **{وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ}** (سورة العصر: 3)، والله تعالى يتلى: **{وَلَنَبْلُوَكُمْ بَشِيئَةً مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}** (سورة البقرة: 155).

هؤلاء أصيب كثير من المسلمين، من الموحدين، من أهل السنة في أرواحهم وأبدانهم، وبيوتهم وأهليهم، وأمواهم ومصادر كسبهم وعيشهم: **{وَلَنَبْلُوَكُمْ بَشِيئَةً مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}** (سورة البقرة: 155-157).

إن السعيد لمن ابتلي فصبر، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح [رواه مسلم (4263)]، وهذا يقود إلى وجوب رحمة المسلمين، وإلى بذل المعروف لهم وإعانتهم، وعدم جواز المشاركة في زيادة الشدائد عليهم، وقد يقع في هذه الحروب من أنواع البلاء ما يقع، ويقوم أعداء الله عز وجل باستباحة نفوس المسلمين وأمواهم، فيكون في هذا ابتلاء عظيم، وهذا الابتلاء من سنة الله: **{وَنَبْلُوَكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً}** (سورة الأنبياء: 35)، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا)** قال في الحديث: "وقال" أي: الله لنبيه عليه الصلاة والسلام، **(إنما بعثتك لأبتليك، وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرأه نائماً ويقظان، وإن الله أمرني أن أحرق قريشاً فقلت: رب إذا يئلغوا رأسي؛ فیدعوه خبزة، قال: استخرجهم كما استخرجوك، واغزهم نغزك، وأنفق فسنفق عليك، وابعث جيشاً نبعث خمسة مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك)** [رواه مسلم (2865)] **(إنما بعثتك لأمتحنك بما يظهر منك من قيامك، بما أمرتك به من تبليغ الرسالة، والجهاد في الله حق جهاده، والصبر لله تعالى، يتلى الله المرسلين وأتباع المرسلين ليظهر إيمانهم وإخلاصهم في الطاعات، وينافق من ينافق ممن يدخل بينهم، فيمتحنه ليظهر نفاقه بارزاً؛ لأن الله لا يعاقب العباد على علمه السابق فيهم، ولكن على ما يقع منهم، فهو يعلم ما سيفعلون قبل وقوعه، ولكن لنقوم الحجة عليهم، وليستحق العذاب من يستحقه؛ فإنه يتلى ليستخرج ما في النفوس من الإيمان أو الكفران، أو النفاق والظلم، والتخاذل أو نصره الله ورسوله، قال تعالى: **{وَلَنَبْلُوَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ}** (سورة محمد: 31)، وقوله في الحديث: **(وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء)** هذا القرآن في صدور حفاظ القرآن لا يغسله الماء فهو باق في الصدور، الماء يمكن أن يغسل الأحبار في الأوراق والمصاحف لكن القرآن الذي في الصدور **(لا يغسله الماء، تقرأه نائماً ويقظان)**، لا يتطرق إليه الذهاب يبقى على مر الأزمان، يقرأ في اللحظة، ويقرأ أيضاً عند قيام الليل، وهو أيضاً محفوظ في الصدر في حال النوم، محفوظ في الصدر لا يذهب.**

وأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بجهاد المشركين، فقلت: رب أمره سبحانه وتعالى أن يحرق قريشاً، **(قلت: رب إذا يثلغوا رأسي)** يعني: يشدخوه ويشجوه، **(فيدعوه خبزة)** أي يكسر كما يشدخ الخبز، أي يكسر الرأس.

فقال له تعالى: **(واغزهم نغرك)** أي: نعينك، **(واغزهم نغرك)**، وهكذا أمر تعالى بالإعداد؛ إعداد القوة لمواجهة من عصاه: **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)**، وإذا كان الكفار والمشركون يستعدون في لقاء بعضهم بعضاً، وفي الإغارة على أهل الإسلام والتوحيد، فأحرى لأهل الإسلام والتوحيد أن يأخذوا الأهبة والعدة للقاء أعدائهم؛ لأن الله كتب المواجهة، وهذه سنة: **{وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ}** (سورة البقرة: 251)، فيدفع هؤلاء هؤلاء، المواجهة لا بد منها، وهكذا ولو كره من كره فإن الله سبحانه وتعالى قد أخبرنا أننا ربما نكره شيئاً، ويجعل الله فيه خيراً كثيراً.

عباد الله، إن هذا الذي تكرهه النفوس -مما شرع الله- فيه بذل الأرواح والمهج، فيه خير عظيم، وقد قال عز وجل: **{كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}** (سورة البقرة: 216).

(الخير كله في يديك، والشر ليس إليك) [رواه مسلم (771)]، والله قد كتب على المسلمين مواجهة أعدائهم ولذلك لا بد من الاستعداد وأن يأخذ المسلمون الأهبة على جميع أصعدتها حتى على الصعيد النفسي؛ ولذلك **(من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه)** [رواه مسلم (1909)].

وقوله تعالى: **{وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ}** (سورة البقرة: 216) قال أبو عبيدة: "عسى من الله إيجاب"، والمعنى: عسى أن تكرهوا ما في الجهاد من المشقة وهو خير لكم؛ في أنكم تغلبون وتظفرون، وتغنمون وتؤجرون، ومن مات مات شهيداً، وعسى أن تحبوا الدعة وترك القتال وهو شر لكم؛ في أنكم -يعني إذا ركنتم إلى الترف والدعة، واشتغلتم بالدنيا والزرع- تغلبون وتذلون، ويذهب أمركم، قال القرطبي رحمه الله: "وهذا صحيح لا غبار عليه كما اتفق في بلاد الأندلس؛ تركوا الجهاد، وجبنوا عن القتال، وأكثروا من الفرار؛ فاستولى العدو على البلاد وأي بلاد، وأسر وقتل واسترق، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ذلك بما قدمت أيدينا وكسبته".

عن عثمان بن الهيثم قال: "كان رجل بالبصرة من بني سعد، وكان قائداً من قوات عبيد الله بن زياد، وعبيد الله بن زياد كان ظلوماً غشوماً، فسقط عن السطح، أي: هذا القائد، وانكسرت رجله، فدخل عليه أبو قلابة -الصحابي رضي الله عنه- يعوده، فقال له: أرجو أن تكون لك خيرة، فقال له: يا أبا قلابة، وأي خير في كسر رجلي جميعاً؟ فقال: ما ستر الله عليك أكثر، فلما كان بعد ثلاث، ورد عليه كتاب ابن زياد: أن يخرج فيقاتل الحسين رضي الله عنه، فهذا الظلوم الغشوم يريد أن يوكل إلى قائده هذا الخروج لقتال ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال للرسول: قد أصابني ما ترى، فأنا الآن ما أقدر على الخروج، فما كان إلا سبعاً حتى وافى الخبر بقتل الحسين رضي الله عنه، فقال الرجل: رحم الله أبا قلابة؛ لقد صدق إنه كان خيرة لي.

من يستعن بالله يعنه:

عباد الله، إن الذين يُعدون العدة في نفوسهم، وفي عملهم لملاقاة أعداء الله بصدق، فإن الله يعينهم، وقد قال: **{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}** (سورة العنكبوت: 69)، قال ابن القيم رحمه الله: "لو توكل العبد على الله حق توكله في إزالة جبل عن مكانه مأموراً بإزالته لأزاله" لو كتب الله، وكلف العبد بإزالة جبل، فإن العبد بالتوكل الحقيقي يزيل الجبل، والدليل قال تعالى: **{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}** (سورة العنكبوت: 69)، ولذلك إذا أعدوا العدة فإن الله تعالى معهم، وهكذا المسلمون كانوا يقاتلون العدو الحقيقي، أما قتال الفتنة فيما بينهم أهل التوحيد فإنه حرام وظلم؛ ولذلك ما كانت سيوف المسلمين توجه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلا للعدو الواضح، فقاتلوا اليهود؛ قاتلوا اليهود في النصير وقريظة وخيبر، وقاتلوا النصارى في مؤتة، وخرجوا للقائهم في تبوك، وقاتلوا المشركين في بدر وأحد والخندق، وخرجوا للقائهم في الحديبية، وفتحوا مكة، فقاتل النبي صلى الله عليه وسلم أنواع الأعداء: قاتل اليهود، وقاتل الصليبيين، وقاتل المشركين.

وهؤلاء المشركون كانوا أعدى أعدائه؛ ولذلك لا يمكن أن يغفل المسلم عن قتال المشركين، وربما طغى بعض هؤلاء من أهل الكتاب فأنسوا أهل الشرك، ولماذا أرسل النبي صلى الله عليه وسلم؟ إلا لمحو الشرك، أرسله الله ليمحو الشرك، ويقيم لا إله إلا الله؛ ليقم ملة التوحيد، ويقاوم من أشرك بالله، الله عز وجل واحد لا شريك له، فمن أشرك به نبياً أو ولياً، من أشرك معه صالحاً أو طالحاً، من أشرك معه أحداً غيره فإنه يقاتل؛ لأن الجهاد في سبيل الله إنما شرع لإقامة التوحيد، التوحيد حق الله على العبيد، التوحيد أغلى شيء في هذا الوجود؛ لأنه متعلق بالخالق عز وجل، فمن كفر به، أو أشرك به، أو عاداه؛ فإنه يقاتل، وتكون العداوة له، وإذا لم يقدر المسلم على قتال هذا فإنه لا بد أن يبغضه بقلبه.

الأحداث تكشف المستور:

عباد الله، إن الأحداث تبين بجلاء، التطبيقات الواقعية للآيات والأحاديث، وعندما ذكر عز وجل أن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود، وذكر سبحانه وتعالى أنهم يعيشون في الأرض فساداً، وأنه فهاهم: **{وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ}** (سورة البقرة: 60)، لكن دائماً يخالفون أمره؛ فيعتون في الأرض بالفساد، يهلكون الحرث والنسل، وهكذا بجميع أنواع الأسلحة يفتكون، لا يمتنعون عن قتل طفل، ولا امرأة، ولا شيخ كبير.

بل قد أفتى حاخاماتهم أن من يترحم على أطفال غزة فإنه ينظر إلى أطفال إسرائيل بوحشية، هكذا الفتوى، "من يترحم على أطفال غزة ينظر إلى أطفال إسرائيل بوحشية".!

أباحوا في غمرة حربهم على إخواننا المسلمين في فلسطين وغيرها أن يقتل النساء والأطفال، فتبين فساد هؤلاء، وأي سلام يدعون إليه؟ وأي تطبيع يريدونه، وهذه حالهم؟ لم تسلم المزارع من شرهم ولا سيارات الإسعاف، ولا هؤلاء النازحين يجلوهم من أرض ليقتلوهم في أخرى، ويقطعون الطرق، وهكذا يعيش الناس في أمر مريع.

أخلاق المسلم عند الفتن:

عباد الله، وإن من حق المسلم على المسلم أن يواسيه في المصائب: (مثل المؤمنين في توادهم) المؤمنين، وليس المؤمن والمشرک، (مثل المؤمنين في توادهم وتراحهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) [رواه مسلم (2586)]، وعندما يجد المسلم بعض الأخلاق تنتهك، فتنتهز الفرصة لرفع إيجارات وسائل النقل أضعافاً مضاعفة، فكيف بهذا المسكين الذي أجلى عن بيته يستطيع أن يركب سيارة بألفي دولار؟ وحتى تجار بطاقات الشحن للهواتف الجواله دخلوا السوق السوداء، وفرغت آلات الصرف الآلي من الأموال، وأمر الناس أن يطمروا نفاياتهم في أملاكهم العقارية؛ لأنه لا أحد يزيل تلك النفايات، ودب الهلع والرعب، وهكذا الأمر جد خطير، وأيضاً فإن هؤلاء اليهود يخفون لإجلاء الرعايا الأجانب، وبعد ذلك يقصفون الآمنين في بيوتهم.

وعندما تشح الأغذية، وترتفع الأسعار هنالك ينظر المسلم إلى قوله تعالى: {أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ} (سورة البلد: 14-15)، من الذي سيجوز النار؟ من اقتحم هذه العقبة سلم، {فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ} (سورة البلد: 11-16)، وحتى لا يظن بعض الناس أن القضية هي قضية إطعام طعام، وإحسان إلى الخلق، وأن هذا يدخل اللجنة مباشرة، وأن المسألة هي في هذه الأعمال الخيرية فقط، قال: {ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ} (سورة البلد: 17)، لتكتمل القضية.

عباد الله، لقد ذكر العلماء حكم الاحتكار، وتحريم هذا، وقد قال عليه الصلاة والسلام: (لا يحتكر إلا خاطئ) [رواه مسلم (1605)]، ويعتمد إلى شراء ما يحتاجه الناس فيحبسه عنهم ويخزنه لترتفع الأسعار، ويقوم الغلاء، ثم بعد ذلك يخرجه لبيعه بأضعاف مضاعفة؛ فهو ظالم للمسلمين، وهكذا يجب أخذه منه بقيمته لا بأكثر، ومن اضطر إلى الاستدانة من الغير، فأبى أن يعطيه إلا بالربا، وهو في مخمصة، فأخذه منه لم يستحق عليه إلا مقدار رأس ماله فقط، وكذلك إذا اضطر إلى منافع ماله كالحيوان والقدر والفأس، ونحوها وجب عليه بذلها مجاناً للمحتاج على قول هو الأصح، والقول الآخر بأجرة المثل، يعني لا يزيد، هكذا نص العلماء وقالوا: من اضطر إلى طعام غيره أخذه منه بغير اختياره بقيمة المثل، ولو امتنع من بيعه إلا بأكثر من سعره، فأخذه منه بما طلب، يعني: وافق على السعر المرتفع، لم تجب عليه إلا قيمة مثله، شرعاً لا يحق لصاحب الطعام إلا قيمة المثل، وهكذا قال ابن القيم رحمه الله: "إذا قدر أن قوماً اضطروا إلى السكنى في بيت إنسان، ولا يجدون سواه، أو التزول في خان مملوك، أو استعارة ثياب يستدفئون بها، أو رحي للطحن، أو دلواً لترع الماء، أو قدر، أو فأس، أو غير ذلك وجب على صاحبه بذله بلا نزاع، لكن هل له أن يأخذ عليه أجراً؟ فيه قولان للعلماء، وهما وجهان لأصحاب أحمد، ومن جوز له أخذ الأجرة حرم عليه أن يطلب زيادة على أجرة المثل".

انظروا ماذا قال علماؤنا وفقهاؤنا في الذين يستغلون الأحداث والحروب والصوائق، وهذه الشدائد ليرفعوا الأسعار كيف يتم التعامل معهم، وقد قال تعالى: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ} (سورة الماعون: 4-7)، وقد نص العلماء: أنه لو اضطر إلى طعام إنسان وشرابه، فحبسه عنه صاحب الطعام والشراب حتى مات الآخر المسلم جوعاً وعطشاً ضمنه بالدية، عليه أن يدفع ديته، واحتج أحمد لهذا بفعل عمر بن الخطاب، وقيل له: تذهب إليه؟ فقل: إي والله.

فهذا كلام العلماء، وهذا بيان أن هذه الشريعة رحمة للناس، وأن هذا العلم نور يفصل في مثل هذه الأحداث. اللهم نور قلوبنا بكتابك، آمنا في أوطاننا، وأصلح ذات بيننا، وارفع عنا الغلاء والوباء يا سميع الدعاء، وعن سائر إخواننا المسلمين الموحدين في الأرض يا رب العالمين. اللهم اجعلنا مسلماً لمن سالمك حرباً لمن حاربك، اللهم أعزنا بهذا الدين، اللهم إنا نسألك النصر لأهل الإسلام والتوحيد يا رب العالمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وأوسعوا لإخوانكم يوسع الله لكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله لا يحمد على مكروه سواه، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسول الله إلى خلقه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

دروس وعبر من الأحداث:

عباد الله، وهكذا تجري الأحداث ليتعلم المسلمون أعداءهم من هم، هكذا أحياناً تُظهر الأحداث عجز المسلمين، وربما تكون المعركة بين أطراف ليس المسلمون فيها، ولكنهم وقود، وعلى أرضهم تدور، والرحى تطحن، وهم في الوسط.

عباد الله، يتعلم المسلم أن هذا الدين رحمة، وأن البشرية إذا انحرفت فإنها تصنع آلات الدمار والخراب، وتخترع وتبتكر للأشد فتكاً، وغازات سامية، وأشياء محرقة، وأمور تفسد الأرض، وتهلك الحرث والنسل، وهكذا تستعمل آلات التضليل، آلات الإعلام الضخمة الكبيرة من قبل الأعداء، يرى المسلم هيمنتهم في المجالس العالمية، واستعمالهم لحقوق الاعتراض المزعومة على القرارات شرقاً وغرباً، ولكن الذي يبصر بعين الشرع يعلم أن الله أكبر، وأنه فوق هؤلاء جميعاً، وأنه عز وجل إذا شاء أن يأخذهم بلمحة بصر يأخذهم عز وجل، وما أخذه سبحانه، وما أمره إلا واحدة كلمح بالبصر، ولكنه عز وجل يتلى، ويقدر ما يقدر، ويعلم في هذه النوازل الحقائق، وتنكشف الدقائق، إنها في الحقيقة ابتلاءات شديدة.

الفتن من صبر عليها كانت رحمة في حقه، ونجا بصبره تجاهها من فتنة أعظم منها، ومن لم يصبر وقع في فتنة أشد

فاصبر فإنك في النوازل رائد * والدرب نعلم شائك وطويل**

فالصبر روضات لأبناء الهدى *** ولجنة الرحمن تلك سبيل

ولو لم يبق في الدنيا إلا بلاء وفتن، فأعدوا للبلاء صبراً كما قال النعمان بن بشير: "إنه لم يبق من الدنيا إلا بلاء وفتن، فأعدوا للبلاء صبراً"، والمسلم يتفاعل، ويثق بنصر الله عز وجل، وأن نصره قادم لا محالة، ولكن لمن؟ من الذي يستحق النصر؟ ولذلك لا بد من توفير شروطه ليقدره الله، ويترله على أهله.

ويحقق المسلمون مبدأ الولاء لإخوانهم، والبراء من أعدائهم، ويجذرون من موالاة أعداء الله، ولا يغترون بالمنافقين: {كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ} (سورة التوبة: 8)، ويجذر وما يحدث منهم من التشويش، وإثارة الذعر والرعب، وكذلك ينظر المسلم في عواقب الأمور على ما تأتى، وهو يعبد ربه تعالى، ويعامل الناس لا يخدعهم، ولكن لا يدع الحب يخدعه - كما جاء بذلك الأثر -: "لست بالخب، ولا الخب يخدعني"، فليس المؤمن لئيماً مأكراً، لكن لا يدع اللئيم الماكر يخدعه، وإنما يكون على بصيرة، المؤمن كئيس فطن، وليس كيس قطن يغزل منه الأعداء ما يريدون غزله، ولكنه حازم لا يستغفل، ولا يخدع مرة بعد أخرى.

إن المسلم لا يتلاعب به بالشعارات، إن المسلم لا يتلاعب به بهذه الكلمات المثيرة للعواطف، إن المسلم على درب وهدى وطريق مستقيم؛ ولذلك قال أبو زرعة رحمه الله في المتكلمين الذين أظهروا نصر الإسلام بزعمهم: "هؤلاء المتكلمون لا تكونوا منهم بسبيل؛ فإن آخر أمرهم مكشوف ينكشفون عنه، وإنما يتموه أمرهم سنة سنتين ثم ينكشف"، قال: "فلا أرى لأحد أن يناضل عن أحد من هؤلاء فإنهم إن هتكوا يوماً قيل لهذا المناضل: أنت من أصحابه، وإن طلب يوماً طلب هذا به، لا ينبغي لمن يعقل أن يمدح هؤلاء"، وكذلك فإن المرء مع من أحب، فإذا كان مع ويجب أعداء الله فهو معهم والعياذ بالله، والرجوع إلى الدين هو الحل لجميع هذه المصائب. ونحن نعلم أن بعض ما يقع من أحداث يستتر به الأعداء عوراتهم، ويغطي به اليهود على جرائمهم في أرض فلسطين، وينشغلون الناس بالإعلام والأحداث الأخرى، والمذايح هناك، وكذلك المسلمون في أرض الرافدين لا بواكي لهم؛ يهجرون يقتلون بأيادي الزنادقة والمنحليين، والمشركين والصليبيين، فمن الذي يرثيهم اليوم؟

أما فلسطين الشكول فإنها *** تطري صنيعةك والدموع سواك

لم تنسها والظلم منتصر بها *** والعدل منهزم الفياق هارب

والنار تأخذ أهلها فمعذب *** يشوى على أيدي الطغاة وذائب

ما للشيوخ ولا العذارى عصمة *** الهول طام والردى متكالب

أمن الجرائم أن يزحزح غاصب *** ويرد عن حق الممالك ناهب

الجرم الورع الذي يدع الحمى *** حذر الجريمة والأثيم النائب

الله أكبر يا سلالة يعرب *** بالت على حرم الأسود ثعالب

عباد الله، إننا ندعو لإخواننا بالنصر، ونرجو من الله عز وجل أن يخفف عنهم، ويرفع عنهم البلاء.

اللهم أعنهم ولا تعن عنهم، اللهم أعنهم ولا تعن عنهم، وانصرهم ولا تنصر عليهم.

اللهم كن معهم يا رب العالمين، اللهم داو جرحاهم، واشف مرضاهم.
اللهم أبرئ مريضهم وجريحهم، اللهم ارحم موتاهم وقتلاهم، واجعلهم شهداء عندك يا رب العالمين.
اللهم اجعلهم على الحق ثابتين، واجعلهم في وجوه الأعداء ثابتين، ويقاتلون عن سييلك، ثبت أقدامهم وانصرهم على القوم الكافرين.
اللهم إنا نسألك لبلادنا وبلاد المسلمين العافية، اللهم إنا نسألك لبلادنا وبلاد المسلمين الأمن والطمأنينة، من أراد بلدنا هذا وبلاد المسلمين بسوء فامكر به، واجعل كيده في نحره، وردّه على عقبيه صاغراً، اللهم اهتك ستره، اللهم اقطع دابره.
اللهم إنا نسألك أن تجعلنا من أهل الحق وعلى الحق، أحيينا مسلمين، وتوفنا مؤمنين، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين.
سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.